الباب السابع

الحملة الصليبية الخامسة

- موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ
- معركة المنصورة الأولى

obeikandl.com

الحملة الصليبية الخامسة

سنة ٦١٤ هـ - ٦١٨ هـ - ١٢١٧ م - ١٢٢١ م .

قادة الحملة : ليبود دوق النمسا، وأنديريه الثالث ملك هنغاريا، بهما ملك قبرص .

سبب الحملة :

دعا البابا **هنريوس الثالث** إلى حرب صليبية جديدة؛ بغرض استرجاع **بيت المقدس** من قبضة المسلمين الذين قاموا بتحريره، وتلبية لرغبة بعض الأمراء الصليبيين في بلاد الشام استجابت لنداءه بعض الزعامات الأوروبية. لقد وصلت الحملة الصليبية إلى **قبرص** ثم إلى مملكة بيت المقدس (**عكّا**) وانهزموا فيها، ثم جاءت إمدادات أوروبية فتغير مسارها إلى **مصر** وبالتحديد في **دمياط** بقيادة بلاجيوس، والملك يوحنا دي برين ملك ماتبقى من بيت المقدس .

في نوفمبر ١٢١٥م ، انعقد المجمع اللاتيني الرابع في روما ، واتخذ سلسلة من القرارات المبدئية التي تتعلق بتنظيم الحملات الصليبية بشكل عام ، وكان ذلك بداية تشكيل شكل من مؤسسة دائمة للحملات الصليبية، ووضع هذه المشاريع على أساس امتن ، وأمر الأسياد والمدن، وفقاً لوضعهم الاقتصادي والمالي، بأن يقدموا للحملة مجموعة حربية ذللت عدد معين من العناصر ، ويؤمّنوا لها الأموال لمدة ثلاث سنوات. وقرر المجمع اللاتيني ضريبة استثنائية إلزامية لتأمين حاجات الحملات وذلك على شكل جزء من عشرين من الدخل السنوي وكان على البابا وأوساط الكرادلة أن يدفعوا ضريبة مزدوجة، أما الخارجون عن الطاعة فكانت الكنيسة تتخذ عقوبات كنسية صارمة ضدهم، وتم تنظيم حملات الوعظ ووضع الكتب التعليمية لأجل تهذيب الحملات الصليبية، وبذلك نظمت الحملات الصليبية تنظيماً مؤسسياً. تحددت سنة ١٢١٧م موعداً لبداية **الحملة الخامسة**، وخطط لها أن تنطلق من ميناء **برنديسي** الإيطالي، وكان من الملوك الذين أخذوا النذر الصليبي فريدريك الثاني الألماني، واندراش (اندره) الثاني المجري، ويوحنا بلا ارض الإنجليزي ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ومات البابا أنوسنت الثالث والملك الإنجليزي يوحنا بلا ارض، على التوالي، الأول في ١٦ يوليو، والثاني في ١٩ أكتوبر من عام ١٢١٦م. فانتقلت لبابوية وقيادة تنظيم الحملة إلى البابا أونوريس الثالث، الذي عن اقاصي الرسولي في قوات الصليبيين الكاردينال بيلاجيوس من البانو

وكان الملك المجري إندرياس الثاني وأسيا. التحقوا به (معظمهم من جنوبي ألمانيا) وصلوا ما بين يوليو وأغسطس من عام ١٢١٧م إلى سبليت، ولكنهم اضطروا للانتظار بسبب عدم كفاية السفن لنقل الفيالق الصليبية إلى جبهة القتال .

obeikandl.com

مرتية فضائية تصور طبيعة ميناء برنديسي في إيطاليا

اضطراب الوضع بعد الحملة الصليبية الرابعة

لم تستقر الأمور بين المسلمين والصليبيين بعد فشل الحملة الصليبية الرابعة – على الرغم من الاتفاقات والمعاهدات – ذلك أن الصليبيين (الفرنجة) أسرع إلى نقض العهود والغدر والخيانة وتلك طبيعتهم .

فقد أراد **الإسبتارية** في **حصن الأكراد** أن يستولوا على مدينة حمص سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م، فتكررت هجماتهم عليها حتى وصلوا إلى أسوارها فاستنجد صاحب حمص آنذاك أسد الدين شيركوه الثاني، بالملك الظاهر صاحب حلب، فسير له إليه عسكراً منع عنه الصليبيين. وفي شتاء ١٢٠٧ م – ٦٠٤ هـ، استولى قراصنة صليبيون من قبرص على سفن مصرية وأسروا من فيها، فخرج إليهم السلطان العادل على رأس جيش قاصداً عكّا وانتهى الأمر برد أسرى المسلمين .

ثم اتجه العادل إلى **حصن الأكراد** لإبعاد خطر **الإسبتارية** عن حمص فعسكر عند بحيرة قدس قرب حمص ، وجمع هناك قوة من عدد من الأمراء ثم أعلن أنه يقصد طرابلس بينما قصد حصن الأكراد فهاجمه وأسر خمسمائة رجل وغنم وإن كان لم يستطع الاستيلاء على الحصن لمناعته.

ثم زحف العادل إلى طرابلس واستولى في طريقه إليها على حصن القليعات ولكنه أطلق سراح حاكمه. وقد أدت حروب العادل هذه إلى أن يسرع بوهيمند الرابع صاحب طرابلس، إلى طلب الصلح فأجابه العادل إلى ذلك. كما أن الملك حنّا برين عقد معاهدة مع السلطان العادل مدتها ست سنوات من ١٢١١ – ١٢١٧ م ، ٦٠٨ – ٦١٤ هـ ، وإن كان حنّا هذا أخذ يدبر مع الصليبيين **حملة لغزو مصر** عقب انتهاء الهدنة مباشرة؛ فأخذ يراسل روما ويطلب إعداد هذه الحملة، وما إن انتهت الهدنة حتى كانت دعوة حنّا برين قد أثمرت، **وبدأت الجموع الصليبية تشق طريقاً نحو الشرق لحملة صليبية خامسة.**

الإسبتارية

بدأ ظهور فرسان ماطة عام ١٠٧٠ م، كهيئة داعمة، أسسها بعض الإيطاليين، لرعاية مرضى النصارى، في مستشفى (قديس القدس يوحنا) قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، في فلسطين وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية. وقد أطلق عليهم اسم **فرسان المستشفى أو الإسبتارية** باللغة الايطالية تمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل **فرسان المعبد** (الداوية) و"الفرسان التيوتون" وغيرهم، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد وكان التزايد الكبير في أعداد الوافدين النصارى إلى مدينة القدس قد زاد في بداية القرن الحادي عشر لاتجاه بعض الإيطاليين للحصول على حق إدارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين. وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى "قديس القدس يوحنّا" كذلك استطاع تجار مدينة "أمالفي" ١٠٧٠ م تأسيس جمعية داعمة في بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس للعناية بالأجانب ومن اسم المستشفى أطلق عليهم اسم فرسان الإسبتارية في اللغة العربية. ولم يلبث أولئك الإسبتاريون أن دخلوا تحت لواء النظام الديني البندكتي المعروف في غربي أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما مباشرة بعد أن اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيمهم رسمياً في ١٥ فبراير ١١١٣ م، وهكذا أصبح نظامهم يلقى مساندة من جهتين: تجار مالفي وحكام بروفانس في فرنسا . عندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧ م وتم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى (جيرارد دي مونتيز) تنظيماً منفصلاً أسماه "رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا" وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين وخاصة بعد أن تحولوا إلى نظام **فرسان عسكريين** بفضل ريموند دو بوي (خليفة مارتينز) الذي أعاد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا (أنوسنت الثاني) ١١٣٠، حتى قيل "إن الفضل في بقاء مدينة القدس في أيدي الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى **فرسان الإسبتارية** بجانب **فرسان المعبد** وقد كان تشكيل تنظيم **الإسبتاريين** ينقسم إلى **ثلاث فئات**: فرسان العدل الذين هم من أصل نبيل (نبلاء) وأصبحوا فرساناً. القساوسة الذين يقومون على تلبية الإحتياجات الروحية للتنظيم. إخوان الخدمة وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

قلعة الحصن أو حصن الأكراد: هي قلعة تقع ضمن سلاسل جبال الساحل السوري غربي حمص بـ ٦٠ كم في سوريا . في ١١٤٤م، قام ريموند الثاني أمير طرابلس بتسليمها إلى فرسان القديس يوحنا المعروفين بالاسبتارية أو فرسان المشفى ، و منذ ذلك الحين بدأ المكان يعرف باسم حصن الفرسان ، و قد أعاد الاسبتارية بناء الدفاعات الجديدة للقلعة ، و قاموا بترميمها بعد الزلزال الذي أصابها عام ١١٥٧م وتعد من أجمل القلاع الصليبية في الشرق .

قلعة الفرسان (الاسبتارية)

قلعة الحصن: قلعة لعبت دوراً ريادياً في أحداث الحرب الصليبية وكانت واحدة من أكثر المواقع الصليبية صموداً.

أنشئت قلعة الحصن في العام ١٠٣١م ، على يد أمير حمص حيث وضع حامية كردية في الموقع. وأسماه **حصن الأكراد** . سقط الموقع عام ١٠٩٩م بيد الأمير الصليبي ريموند دي صنجيل، الذي شن الحملة الأولى على المسلمين قرب الموقع واحتله لفترة وجيزة في ١١٠٣م، لكن أمير حمص استعاد الموقع من الصليبيين ١١١٠م، بيد أن تانكريد أمير أنطاكيا الصليبي احتل القلعة والحقها بكونتية طرابلس، ومنذ ذلك الحين باشر ببنائها على الطراز القائم حالياً. تمتاز القلعة بلون حجرتها الكلسية التي كانت تجلب من مسافة ٤ كم من بلدة مجاورة تدعى (عمة الحصن) وميزة الحجر الكلسي أنه طيع أثناء النحت وخفة الوزن.

برج القائد

لهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق. ويمتاز بأبراجه ... ويتألف من طابقين. الأرضي ويضم قسحة سماوية تحيط بها الأقبية والعنابر وقاعة الاجتماعات. والكنسية والمطعم والحجرات والمعاصر والعلوي ويحتوي على أسطح مكشوفة ومهاجع وأبراج. ويرى في هذه الصورة مؤلف ومصمم الكتاب أمام برج القائد في الدور العلوي .

الزحف الصليبي على دمياط (مصر)

دعا **البابا** أنوسنت الثالث لحملة صليبية جديدة سنة ١٢١٣ م، وأعلن أن هذه الحملة يجب أن تتجه نحو الشام مباشرة. ووصلت الحملة الصليبية إلى الشام في سنة ٦١٥ هـ، تحت زعامة ليوبولد السادس دوق النمسا) وأنديريه الثاني (ملك هنغاريا) ثم لحق بهما، بهمايهو (ملك قبرص). واجتمعوا في عكّا في شهر أكتوبر ١٢١٧ م، وقرروا البدء بمهاجمة **القلعة الجديدة** التي شيدها **العادل** على جبل الطور لسيطرته على إقليم الجليل واتجه إليهم **الملك العادل**، ولكنه آثر الانسحاب من وجههم فاستولوا على بيسان، ثم عبروا الأردن وأوغلوا حتى وصلوا إلى نوى (وينسب إليها الإمام المحدث النووي، صاحب رياض الصالحين).

ووجه العادل اهتمامه إلى الدفاع عن **دمشق وبيت المقدس**، واتجه **الصليبيون** إلى قلعة الطور ولكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ثم عاد ملك هنغاريا (المجر) إلى بلاده، ولم تحقق حملته مع ملك النمسا شيئاً سوى هدم حصن الطور الذي هدمه العادل بنفسه، لما رأى ما يجره عليه من عداء الصليبيين. أما دعوة حنّا برين، لمهاجمة **مصر** لأنها عند الصليبيين هي مفتاح بيت المقدس لذلك تدفقت جموع الصليبيين إلى الشام استجابة لدعوة البابا أنوسنت الثالث، والملك حنّا برين. وخرج **حنّا برين** لمهاجمة مصر ومعه تلك الجموع والإسبتارية والداوية والقبارصة قاصداً **دمياط** في ٦١٦ هـ ١٢١٨ م، وكان حنّا زعيم الحملة، **ولم ينس الصليبيون أن يتصلوا بملك الحبشة النصراني**، ليعاونهم في ضرب المسلمين والإسلام **عن طريق غزو الحجاز وهدم الكعبة**. ووصلت سفنهم دمياط، وعلم الملك **الكامل** ابن الملك العادل بوصولهم، فأسرع بالتحرك نحو جنوب دمياط.

هجوم الصليبيين على دمياط

بينما رسا الصليبيون على الضفة الغربية للنيل، وأخذ الصليبيون يهاجمون برج السلسلة ثلاثة أشهر ثم استولوا عليه في نهايتها، وقد حاول المسلمون إقامة العوائق في النيل حتى لا تدخله سفن الصليبيين ولكن الصليبيين أفسدوا هذه العوائق.

وانتظر حنّا برين في مواجهة الجيوش الإسلامية حتى جاءه مدد من أوروبا على رأسه الكاردينال (بلاجيوس) مندوب البابا والقائد الأعلى للصليبيين في حملتهم على مصر، وحاول **الملك المعظم** أن يشغل **الصليبيين** عن **مصر** فهاجم قيسارية واستولى عليها، لكنه لم يستطع المضي في الاستيلاء على ما يريد من القلاع والحصون، وتوفي الملك العادل في جمادى الثانية سنة ٦١٥ هـ- ١٢١٨ م، وخلفه **ابنه الكامل** في

هجوم الصليبيين على مصر

الحكم على مصر، وابنه الملك المعظم على دمشق.

وفي شهر رجب من نفس العام هاجم **الملك الكامل الصليبيين** في **دمياط** ولكن الصليبيين تغلبوا عليه، ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى دبر الأكراد مؤامرة للإطاحة بالملك العادل ففر منهم، فلما رأى الجند فرار الملك خاذلوا وانصرفوا فعبر الصليبيون النيل إلى الضفة الشرقية وأصبح سقوط دمياط مسألة وقت، لكن وصول الملك المعظم لنجدة أخيه أخرت الأمر بعض الشيء.

وصادف ذلك جيوش جنكيز خان للدولة الخوارزمية، فاضطرب الكامل وأحس أن حماية الجبهة الإسلامية الشرقية من المغول عمل ضروري فعرض الصلح على الصليبيين، فرفض الصليبيون وبخاصة **بلاجيوس** مندوب البابا هذا الصلح، وإن قبله حنّا برين. فهاجم الصليبيون معسكر الكامل، وفشلوا في ذلك ومنوا بهزيمة ولكنهم ظلوا محاصرين لدمياط، وجاءتهم نجدة من الإنجليز والفرنسيين في حين ساءت الأحوال في مصر وغلت الأسعار (وأصبحت قيمة البيضة بدينار من الذهب) **فسقطت دمياط في أيدي الصليبيين سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م**، وأعملوا القتل في أهلها والإفساد لكل ما فيها، ثم اتخذوا منها مركزاً وحصناً يهددون منه القاهرة ويتحكمون منه في شرق البحر المتوسط. وفي ذلك الوقت كانت جيوش التتار قد وصلت إلى قرب بغداد واستنجد الخليفة العباسي بالملك الأشرف أخي الملك الكامل، ولكن الأشرف اعتذر بأنه ذاهب لنجدة أخيه ضد الفرنج. وقد اغتر **الصليبيون** باستيلائهم على **دمياط** ورفضوا عروضاً من الملك الكامل كانت مغرية حقاً ليجلوا عن دمياط. فاتجهوا إلى مهاجمة **القاهرة** وتحركوا نحوها في أواخر يونيو ١٢٢١ م، ٦١٩ هـ.

موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م

كان الملك الكامل الأيوبي؛ نقل معسكره إلى فارسكور حيث خيم بالمنزلة الجديدة التي شيدها على الشاطئ الشرقي للنيل (المعصورة) وجمع الملك الكامل وأخواه المعظم والأشرف كل قوة يمكنهم جمعها واستعدوا لمواجهة الصليبيين. **وعرض الملك الكامل على الصليبيين عرضه من جديد**. ولكنهم أبوا وشرعوا في التحرك نحو **القاهرة** وتقدموا وسط مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات: في بحيرة المنزلة من الشرق، وفرع دمياط من الغرب، والبحر الصغير من الجنوب. ووقفت السفن الإسلامية في النيل تسد الطريق عليهم وتمنعهم من الاتصال بمركزهم في دمياط وكان وقت الفيضان للنيل. فقطع المسلمون السدود ففرقت أكثر الأرض المحيطة بالصليبيين ولم يبق لهم للعودة إلى دمياط سوى طريق ضيق ملأه الملك الكامل بالقوات العسكرية التي أخذتهم وهم يحاولون العودة على دمياط .

وساء موقف الصليبيين وتجمدوا عند البرامون فلا يستطيعون المضي ولا العودة ولا يستطيعون القتال في الوحل. فطلبوا الصلح هم هذه المرة، خانعين طالبين النجاة بأنفسهم فقط: فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك بشرط أن يرسلوا له **برهائن من الملوك** حتى يسلم دمياط للمسلمين، وجلوا عن دمياط في رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١ م، ودخلها الملك الكامل والمسلمون. **وهكذا فشلت الحملة الصليبية الخامسة التي دعا إليها حنا برين. والبابا أنوسنت الثالث وعادت من غزو مصر بالخزي والمذلة و الانسحاب .**

مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية الخامسة

في ٣٠ مايو ١٢١٨م، وصلت طلائع الحملة الصليبية الخامسة بقيادة حنّا دي برين أمام **دمياط** واستطاعت الحملة الاستيلاء عليها، ونجحوا لمدة ١٦ شهراً . وبعد أن تم الاستيلاء على دمياط وتحصينها تقدموا لمنازلة جيش الملك الكامل الذي تجمع أمام **المنصورة** وكان يفصل بين الجيشين فرع دمياط وبحر أشمون، وقطع الملك الكامل الطريق بين الفرنجة ودمياط. وشيد تحصينات قوية على النيل جنوب دمياط، وطلب **الصليبيون** الصلح على أن يخرجوا من دمياط والبلاد كلها .. ورحل **الصليبيون** إلى بلادهم ودخل الملك الكامل دمياط و أرسلت البشائر بتحرير **دمياط** إلى جميع الدول الإسلامية.

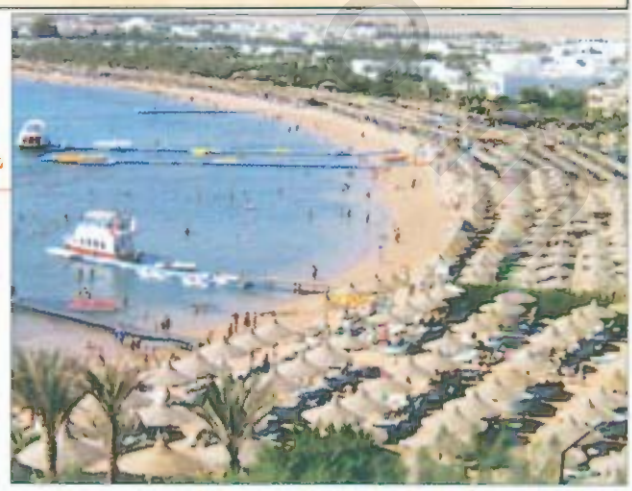

شاطئ مدينة دمياط

جامع النصر بمدينة المنصورة

obeikandi.com

جامع محمد علي داخل قلعة صلاح الدين بالقاهرة

قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، مصر. بناها **صلاح الدين الأيوبي** في الفترة ١١٧٦م حتى ١١٨٣م، با ستخدام أسرى نورمان. أضاف إليها محمد علي مسجده. كانت مقراً لحكم مصر **منذ عهد صلاح الدين الايوبي** (١١٨٣) حتى نقل الخديوي إسماعيل مقر الحكم إلى قصر عابدين، الذي بناه لهذا الغرض في عقد ١٨٦٠م.

قلعة صلاح الدين الأيوبى تقع في حي "القلعة" - قسم الخليفة - وقد أقيمت على إحدى الربى المنفصلة عن جبل المقطم على مشارف مدينة القاهرة. وتعتبر قلعة صلاح الدين الأيوبى بالقاهرة من أفخم القلاع الحربية التى شيدت في العصور الوسطى فموقعها استراتيجي من الدرجة الأولى بما يوفره هذا الموقع من أهمية دفاعية لأنه يسيطر على مدينتي القاهرة والفسطاط. كما أنه يشكل حاجزاً طبيعياً مرتفعاً بين المدينتين كما أنه بهذا الموقع يمكن توفير الاتصال بين القلعة والمدينة في حالة الحصار كما أنها سوف تصبح المعقل الأخير للاعتصام بها في حالة إذا ما سقطت المدينة بيد العدو. ولقد مر بهذه القلعة الشامخة الكثير والعديد من الأحداث التاريخية حيث شهدت أسوارها أحداثاً تاريخية مختلفة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وزمن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، وحتى تولى محمد على باشا حكم مصر حيث أعاد لها ازدهارها وعظمتها. وقد كان السلطان الناصر **صلاح الدين يوسف بن أيوب** أول من فكر ببناء القلعة على ربوة الصوة في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م حيث قام وزيره بهاء الدين قراقوش الأسدي بهدم المساجد والقبور التي كانت موجودة على الصوة لكي يقوم ببناء القلعة عليها حيث قام العمال بنحت الصخر وإيجاد خندقاً اصطناعياً فصل جبل المقطم عن الصوة زيادة في مناعتها وقوتها. ويكبيديا، الموسوعة الحرة على النت .

obeikandi.com

حاول الصليبيون جاهدين بعد سقوط دمياط من الاتجاه نحو القاهرة عبر نهر النيل، لكن المصريين هزموهم في معركة المنصورة

كتب الدكتور جوزيف نسيم يوسف، أستاذ تاريخ العصور لوسطى بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عن الغزو الصليبي: أثبتت الأحداث التي كان مسرحها العالم العربي منذ القدم حتى يومنا هذا، أن الحروب الصليبية تمثل حلقة من حلقات الاستعمار ومرحلة من مراحله وإن كان لها وضعها الخاص في تاريخ الاستعمار مما يتفق والظروف التي صاحبت قيامها. وقد اعترف عدد غير قليل من المؤرخين الغربيين الحديثين المعنيين بالعدوان الصليبي بحقيقة أبعاده ومداه ... دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٧

جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة

أهم مصادر ومراجع الباب السابع

١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٢ - رنيه كروسيه، الحروب الصليبية صرع الشرق والغرب، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه ، أحمد ايبش ، دار قتيبة - دمشق - سوريا .

٣ - د . جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣ م .

٤ - انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية، أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، نشر وتوزيع دار قتيبة، دمشق ، راجعه د . سهيل زكار.

٥ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

٧ - محمد العروسي المطوي،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب .دار الغرب الإسلامي، ط . ١٩٨٢ م .

٨ - Google Earth

obeikandl.com